



أبعاد الظاهرة الدينية

أ.د. حسن حنفي

قسم الفلسفة، جامعة القاهرة،

1- الظاهرة الدينية ظاهرة إنسانية تعبر عن وضع الإنسان فى العالم. هى مجموع الظواهر النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والقانونية والفنية والفلسفية. هى ظاهرة مركبة من عدة أبعاد فى الحياة الإنسانية. ليس الدين ظاهرة متعالية خارج الزمان والمكان والناس والتاريخ. والمقدس له أسسه فى الواقع البشرى. ليس معطى من السماء بل مصنوع فى الأرض. فلا سماء بلا أرض. والله ذاته «إله السماوات والأرض»، «رب السماوات والأرض»، «وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله». ولا روح بلا جسد، ولا نفس بلا بدن، ولا مفارقة بلا حلول وإلا تم الوقوع فى الشائبة المتطهرة التى تفصل الكيان الواحد إلى صورى وتجريئى، روحى ومادى، نور وظلامى، وكما هو الحال فى الديانات الغنوصية.

وهناك فرق بين نظرة المتدين للدين ونظرة الباحث. فالدين عند المتدين إيمان نبوى، وأمر إلهى، وظاهرة روحية أعلى من باقى المكونات المادية والمعنوية فى الحياة البشرية. ليست موضوعا للبحث بل موضوعا للتقديس. بيان سياقاتها التاريخية إلحاد وكفر. الظاهرة الدينية تنشأ من خارج التاريخ وليس من داخله، معطاة وليست مصنوعة، قبلية وليست بعدية. فى حين أن كل الظواهر الإنسانية موضوعات للبحث فى العلوم الإنسانية. توضع كلها تحت مجهر التحليل والنظر والتفسير. واعتبارها خارج التاريخ عجز عن الفهم، ونقص فى أدواته ومناهجه، وقصور فى الفعل، ونقص فى الممارسة والتأثير. ينشأ التقديس من عدم المعرفة والعجز عن الفعل. وبمجرد ما تتحول الظاهرة الدينية إلى موضوع مفهوم وإلى ممارسة وتحقق تمحى منها هالة التقديس وتزول منها الرهبة والخوف.

والأدلة على ذلك كثيرة فى القرآن الكريم. وهو ما يطابق أيضا نتائج الدراسات الاجتماعية للظاهرة الدينية. ويتفق مع ما يشعر به الإنسان بنفسه، متى يشعر بالتدين وبال حاجة إلى الدين ومتى يلجأ إليه، فى حالة الضيق والعسرة أو فى حالة الطلب والعجز. وهو ما سماه القرآن "الخوف" و"الطمع". يتدين الإنسان لاتقاء

مكروه أو لتحقيق منفعة مثل الطالب الذى يتدين قبل أداء الامتحان حتى لا يرسب وينجح. ومثل الجندي الذى يحارب العدو حتى لا يهزم بل ينتصر. ومثل صاحب رأس المال الذى يتدين حتى يتجنب الخسارة ويحقق الكسب. ومثل المريض وهو على فراش الموت يذكر الله حتى يمن الله عليه بالشفاء ويبعد عنه شبح الموت، ويطيل له الأجل.

2- الظاهرة الدينية ظاهرة نفسية بالأساس. وهى موضوع علم خاص هو علم النفس الدينى. هى حاجة نفسية، اقتضاء ومطلب، وازع وباعث. هى وسيلة للتكيف مع الواقع النفسى كما وصف علماء النفس الاجتماعى مثل دوركهايم وبرجسون، سواء كانت ظاهرة نفسية اجتماعية كالدين البدائى أو ظاهرة روحية كالدين الصوفى. الدين وسيلة سريعة للإجابة على الأسئلة الغامضة بالإجابة عن أصلها ونشأتها وليس وضعها وقانونها. فسؤال التكوين سابق على سؤال البنية. فالعالم مخلوق دون معرفة قوانين الخلق. هى ظاهرة مرتبطة بحاجات الناس، واللجوء إلى قوى فوقية لتحقيقها. وهو ما نقده القرآن، الإيمان بدافع الخوف أو الطمع «وادعوه خوفاً وطمعاً»، «ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً»، «يدعون ربهم خوفاً وطمعاً». وتنتهى الظاهرة الدينية بانتهاء دوافعها، الخوف من الضرر، والطمع فى النفع، والتحول من الخوف إلى الأمان «وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً»، «فأوجس فى نفسه خيفة موسى»، «وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً». فالله هو المؤمن بعد الخوف، والمطعم بعد الجوع «فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف». والمؤمن لا خوف عليه ولا ينتابه الحزن «لا خوف عليهم ولا يحزنون» (لذلك ذكر "الخوف" 124 مرة فى القرآن، و"الطمع" 12 مرة.).

فإذا ما انتهى الخطر وتحقق الأمان انتهت الظاهرة الدينية والحاجة إلى التدين «وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً. فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره» وينطبق ذلك على الأفراد والجماعات. «ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون. ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون». فالإنسان لا يتذكر الله إلا فى وقت العسرة «قل من ينجيكم من

ظلمات البر والبحر، تدعونه تضرعا وخيفة لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين»، «واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة». الدين إذن مرتبط بمدى الاستقرار النفسى، وأقرب إلى التعبير عن حالات الحيرة والقلب منه إلى حالات السكينة والاطمئنان. لذلك قد يؤدى الدين أحيانا، مثل الفن، إلى الجنون كما هو الحال عند المجاذيب.

3- الدين ظاهرة اجتماعية مرتبطة بوجود الناس وضرورة التضامن الاجتماعى. وهو موضوع علم الاجتماع الدينى فالدين عامل من عوامل التماسك الاجتماعى. لذلك كانت صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد. والعبادات جميعها لها هدف اجتماعى، التشهد شهادة على العصر، وإعلان عن الحق، ورفض الآلهة المزيفة بفعل النفس "لا إله" ثم إثبات الإله الواحد الحق الذى يتساوى أمامه الجميع. والصوم إحساس بالفقراء والمحتاجين والمعوزين واليتامى والمساكين وأبناء السبيل. والزكاة حق الفقراء فى أموال الأغنياء. والحج مؤتمر سنوى للأمة كلها، ثلاثة ملايين حاج فى مكان واحد، وفى زمان واحد يعلنون البراءة من أعداء الأمة والموالات لأصدقائها «وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا. وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام. فكلوا منها وأطعموا البائس والفقير». والأعياد والموائد كلها مظاهر اجتماعية للفرح والرضا عن النفس والتبرك بالأولياء والصديقين. بل إن التصوف ذاته تجربة ذاتية للفرد وطريقة للجماعة. والطرق الصوفية هى التى ورثت التصوف الفردى. وما أكثر الآيات على نبذ التفرق والتشيع والدعوة إلى التجمع. فوحدة الأمة انعكاس لوحدة الألوهية «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ». وهو ما يفعله بعض الحكام، بضرب فريق بفريق حتى يقوى الحكم «إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا». وما أكثر الأحاديث فى هذا المعنى مثل: "يد الله مع الجماعة"، "الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه". وتكثر التشبيهات أن الأمة جسد واحد، إذا اشتكى عضو تداعت له باقى الأعضاء بالسهر والحمى. ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم. وليس من الأمة من بات جوعان

وجاره طاو. فالإسلام دين الجماعة. لذلك انتشر فى أفريقيا وآسيا حيث يسود الترابط الاجتماعى. كما انتشر أخير فى الغرب نظرا لتأكيديه أيضا على الحرية والمسئولية الفردية «وكلهم آتية يوم القيامة فردا»، «وكلا الأزمناء طائره فى عنقه».

4- الدين ظاهرة سياسية ترتبط بالنظم السياسية وأنظمة الحكم. وهو موضوع علم اللاهوت الدينى وسياسات الدول. مثال ذلك فرعون مصر، واستعمال الدين لاستعباد الناس «قل آمنتم له قبل أن آذن لكم». الدين له وظيفتان سياسيتان متناقضتان. قد يستعمل أداة للسيطرة على الشعوب كما فعل فرعون. وقد يستعمل أداة لتحريرها كما فعل الأنبياء، تحرير موسى من العبودية لفرعون، وتحرير محمد العرب من الجاهلية وعبادة الأصنام واسترقاق العبيد، وإعلان مساواة البشر جميعا، رجالا ونساء. وإلى اليوم الفقهاء نوعان: فقهاء السلطان وفقهاء الشعوب، فقهاء الحيز والنفاس وعذاب القبر ونعيمه، وفقهاء عموم البلوى ومصالح الناس. يُستخدم الدين كأفيون للشعوب أو كزفرة للمضطهدين بتعبير كارل ماركس الشهير. ونشأت بعض الأحزاب السياسية على أساس دينى مثل الأحزاب الإسلامية والأحزاب المسيحية الديمقراطية أو الاشتراكية سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. بل إنه تم تصور الله كحاكم سياسى. فهو السلطان. يستوى على العرش، وله كرسى، يحكم ويقضى، يرفع ويخفض، يعز ويذل، يرحم وينتقم، الجبار المتكبر القهار، المهيمن المسيطر، الملك المالك، القابض الباسط، العلى الكبير، الرقيب الحسيب، القوى المتين، المنتقم المانع. بل لقد قام علم بأكمله وهو الفقه السياسى أو "السياسة الشرعية" لتحديد حقوق وواجبات كل من الحاكم والمحكوم، الأمانات والولايات. الدين لهداية البشر، والسياسة لقيادتهم. للدين والسياسة إذن وظيفة واحدة هى التوجيه والتنظيم والإرشاد. لذلك لا يمكن فصل الدين عن السياسة، ولا السياسة عن الدين. الدين غير رجال الدين. والسياسة ليست الأحزاب السياسية. الدين يعطى النظر والسياسة تتجه نحو العمل. مقولات الدين هى نفسها مقولات السياسة مثل الفرد والمجتمع، الشورى والديموقراطية، العدل فى

الرزق والحكم، المؤسسات والسلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، الحسبة والرقابة على جهاز الدولة، النظم الإسلامية والنظم السياسية كمادة مشتركة فى كليات الشريعة والعلوم السياسية. وتاريخ النبوة هو تاريخ الصراع السياسى بين الحاكم والمحكوم، بين الظالم والمظلوم، بين الملوك والشعوب، بين الحرية والقهر.

5- الدين ظاهرة اقتصادية، تجارة ومكاسب. وهو موضوع علم الاقتصاد الدينى. ارتبط بالتجارة عند العرب. واستعملت التجارة كتشبيه للعلاقة بين الإنسان والله **﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾**. الإيمان مكسب لا خسارة، ويضاعف الله الأجر لمن يشاء. والمؤمنون **﴿يرجون تجارة لن تبور﴾**. ومن يشتري الضلالة بالهدى لا تريح تجارتها وهو من الخاسرين (ذكر لفظ "تجارة" فى القرآن 9 مرات، ثلاثة منها مع الله). وكثيرا ما يكون الدافع على الأمانة فى التجارة الخوف من الخسارة، والزيادة فى المكسب (وهذا ما حلله ماكس فيبر فى كتابه الشهير "أخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"، الدين والرأسمالية، حوار مع ماكس فيبر، قضايا معاصرة ج2، فى الفكر الغربى المعاصر، دار الفكر العربى، القاهرة 1977، ص273- 295). التقوى تؤدى إلى الربح، والحلال هبة من الله. وقد يتحول الدين نفسه إلى تجارة مثل التكسب بالعلم وقراءة القرآن وبالإفتاء، وبوضع الآيات الدينية لتبرير البنوك الإسلامية مثل **﴿أهل الله البيع وحرم الربا﴾**، ووضع لافتات دينية لازدهار التجارة مثل محلات "التوحيد والنور"، وجزارة "الإخلاص"، وبقالة "الأمانة" و"إسلامكو"، وأزياء الحجاب المرصع بالجواهر والترتر الذى يعكس الضوء على الوجه الأبيض فيزداد جمالا ولايجاد فرص أكثر للزواج، وتخصيص الدور الأرضى كمصلاة للإعفاء من العوائد والضرائب العقارية، والمباراة فى الفتاوى من مشايخ الفضاء والمدارس الإسلامية الخاصة التى تفرض اللغات الأجنبية وكلاهما هدم للتعليم الوطنى، ودور النشر المتخصصة فى كتب التراث. يقوم الإيمان الدينى على الرهان وهى نظرة تجارية تقوم على تحقيق الربح وتجنب الخسارة. إذا ربح ربح كل شئ وإذا خسرت لم أخسر شيئا مثل رهان بسكال، وشعر أبى العلاء:

قال المنجم والطبيب كلاهما :. لا تحشر الأجساد قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر :. وإن صح قولي فالخسار عليكم
6- الدين ظاهرة أخلاقية تعبير عن الوازع الأخلاقي وصحوة الضمير. وهو
موضوع علم الأخلاق الديني. فالسلوك الفاضل، وممارسة التقوى، والتمسك
بالإيمان والعمل الصالح هو طريق النجاة، اتقاء العقاب ونيل الثواب. الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر. لذلك تكثر ألفاظ القلب واللب والفؤاد **﴿فإنها لا تعمى
الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾**. جوهر الدين ليس العقائد أو
الشعائر بل الأخلاق **﴿وانك لعلی خلق عظیم﴾**، "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".
وهو التيار الشائع في فلسفة الدين في الغرب منذ سقراط حتى كانط. فالدين هو
الفضيلة، الدين هو الواجب. وحاكم كافر عادل خير عند الله من حاكم مؤمن
ظالم. الأسماء الإلهية كلها قيم خلقية. وقد عرف الصوفية التصوف بأنه "التخلي
عن الأوصاف الدنية، والتخلي بالصفات السنية". التصوف هو الخلق. ومن زاد في
الخلق زاد في الصفاء. ودون الأخلاق يتحول الدين إلى مجرد مظاهر خارجية،
وشعائر مظهرية. لذلك فرق الصوفية بين "أعمال الجوارح" و"أعمال القلوب"، وأولوا
العبادات على أنها أسرار باطنية. وجعل الفقهاء الأعمال بالنيات طبقاً للحديث
الشهير "إنما الأعمال بالنيات". وما أكثر آيات ذم النفاق في القرآن، ونقد الشعائرية
﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾. الحياة الخلقية هي
اتفاق الداخل مع الخارج، الفكر والوجدان مع القول والعمل. لذلك طلب إبراهيم
الدليل والبرهان على صدق الإيمان جمعاً بين الفكر والوجدان. ونقد القرآن الفصل
بين القول والعمل **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن
تقولوا ما لا تفعلون﴾**. كما نقد الحديث فصل الداخل عن الخارج "الإيمان ما وقر
في القلب وصدقه العمل". والجهر بالحق هو إعلان الداخل على الخارج **﴿وإذ قال
رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أن تقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾**. "والساكت
عن الحق شيطان أخرس" (من العقيدة إلى الثورة، ج5 الإيمان والعمل والإمامة،
مدبولي، القاهرة 1978، ص114 - 115).

7- الدين ظاهرة قانونية تعبر عن الحاجة إلى تشريع ينظم حياة الناس. وهو موضوع علم القانون الدينى والشرعية. فالقانون المدنى يتغير بتغير نظم الحكم ومصالح الطبقات وفهم طبيعة القانون وتطور التاريخ من النظام الأموى إلى النظام الأبوى. ويختلف باختلاف المجتمعات خاصة بالنسبة لقانون الأحوال الشخصية، الزواج والطلاق والميراث، والقوانين التجارية الخاصة بالبنوك مثل الربا والفائدة. قد يظلم القانون الوضعى وقد يحابى. فى حين أن القانون الإلهى يعبر عن إرادة مطلقة وشاملة. ويجسد الحق نفسه دون محاباة أو مجاملة لفريق أو جماعة أو مصلحة خاصة. وهو ثابت على مدى الدهر. ينظم العلاقة بين الرجل والمرأة فى قانون الأحوال الشخصية والميراث. لذلك تظهر حركات إسلامية تدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية اعتمادا على عدة آيات مثل «ومن لم يحكم بما أنزال الله فأولئك هم الكافرون». وفى آيات أخرى «الضالون»، «الفاسقون». فالشورى أولى من الديموقراطية. والاشتراكية أكثر تعبيرا عن الإسلام من الرأسمالية. والطلاق أبغض الحلال عند الله. هو واقع إذا أقرته الضرورة واستحالة عدم التعايش «فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان»، أفضل من الزواج الأبدى والانفصال الجسدى. وتعدد الزوجات إقرار واقع استثنائى بدلا من الخيانة الزوجية. فالدين عقيدة وشرعية، تصور ونظام. لذلك كان أهم جزء فى الأصول الأمر والنهى، وفى الاجتهاد استنباط الأحكام الشرعية. فالدين أوامر ونواهى، والأحكام الشرعية فرض أو واجب، ومحرم أو محظور، ومندوب ومكروه ومباح. وكلها أنماط للسلوك. هناك الكبائر والصغائر، الجرائم والجنح، الثواب والعقاب، القصاص والتغريب، والجلد والحبس. ومن سلطات الحاكم "التعزيز" أى تشديد العقوبة أو تخفيفها. لذلك حاول الفلاسفة صياغة دين بلا إلزام أو جزاء. وتصور الصوفية الدين على أنه محبة متبادلة بين العبد والرب وليس مجرد علاقة السيد بالعبد.

8- الدين ظاهرة فنية سواء فى صياغة النص أو فى الممارسات الشعبية. وهو موضوع علم الفن الدينى. فالنص الدينى، خاصة النص القرآنى، نص فنى، مملوء بالصورة الفنية التى تصور الله، ذاتا وصفاتا وأفعالا، وتصور أمور المعاد وما

يحدث للإنسان بعد الموت. والتصوير الفنى نوع من قياس الغائب على الشاهد على مستوى القياس التشبيهي مثل القياس التمثيلي فى الاجتهاد والقياس الشرعى وطرق الاستدلال على الأحكام. وقد أبدع الصوفية فى أشعارهم مثل ابن الفارض وابن عربى وتلاميذه البوصيرى فى التعبير عن التجربة الدينية بحيث يصعب التفرقة بين التجربة الدينية والتجربة الشعرية، لا فرق بين الشعر العربى والشعر الفارسى. و"المتنوى" لجلال الدين الرومى شاهد على ذلك.

وفى المعابد والمساجد والكنائس يظهر الفن المعمارى والزخرفى وجميع أنواع الفنون التشكيلية من رسم وتصوير ونحت وحديد مشغول وزجاج النوافذ الملون للتعبير عن التجارب الدينية. والعمارة الإسلامية شاهد على ذلك: الحمراء، مأذنة جامع اشبيلية، تاج محل، مساجد القاهرة ومآذنها الألف. كما يظهر الفن فى لباس رجال الدين وألوانه المزركشة. يضاف إلى ذلك مهرجانات الطرق الصوفية والأعلام والبيارق والرقص والضرب بالدفوف، والاحتفال بالموالد الشعبية مثل عروسة المولد، وأساطير الإسراء والمعراج وحكاياتهما التفصيلية. لذلك أصبح موضوع "الدين والفن" ضمن المقررات الدراسية فى أقسام تاريخ الأديان وتاريخ الفنون. قد يبقى الفن ويذهب الدين. فما بقى من ليوناردو دافنشى هو فنه وليس دينه، لوحاته وتماثيله ورسوماته وليس عباداته وشعائره. وما بقى من باخ هو موسيقاه وليس كنسياته وقداسياته ومراثيه. وما بقى من الأيقونات هو فنها وليس ما ترمز لها. وقد يعيش العربى المسيحى واليهودى القرآن ويلتذ بسماع صوته فنيا ويظل على دينه مسيحياً أو يهودياً. وبقت الحمراء، وبقي تاج محل، واندثر حكم العرب فى الأندلس والمغول فى الهند.

9- الدين تعبير ميتافيزيقى عن حاجة نظرية إلى رؤية "فلسفية" تفسر وضع الإنسان فى العالم، لماذا أتى وإلى أين ينتهى؟ ما منشؤه وما مصيره؟ وهو موضوع فلسفة الدين. فالعالم مخلوق، كان بعد أن لم يكن بفعل الأمر «كن فيكون». الوجود له أصل. ولا يقوم على عدم مثل الفلسفات العدمية المعاصرة (خاصة عند نيتشه وسارتر وهيدجر). الإنسان فى هذا العالم يحمل رسالة وأمانة، تحقيق

الوحي كنظام مثالي للعالم ، وتحويل ملكوت السماوات في المسيحية إلى ملكوت الأرض في اليهودية ، وتحقيق كلمة الله في العالم كما هو الحال عند هيجل في تصورهِ للدولة كالروح في التاريخ في "أصول فلسفة الحق" ، يعطى الدين إجابة على مصير الإنسان وماذا يحدث بعد الموت؟ هل الموت له الكلمة النهائية أم أن هناك أملا في حياة بعد الموت يسودها العدل تعويضا عن الظلم في الدنيا ، وتقوم على أساس الاستحقاق ، الجزاء طبقا للأعمال **﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾**؟ ومن ثم يحدث وثام نظرى بين الإنسان والعالم. ويعيش الإنسان في عالم مفهوم وعلى أساس معقول وعلى مبدأ العدل. فالعدل أساس الملك ، وعلى الحق **﴿ولئن اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض﴾**. ويرد القرآن على كثير من هذه التساؤلات مثل **﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾** لإثبات التوحيد. ويسأل **﴿أمن خلق السماوات والأرض﴾**. ويرد على منكر الحشر **﴿قال من يحيى العظام وهى رميم. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾**. ومن ينكر هذه الإجابات يعرض على يديه من الندم ويتمنى أن يكون ترابا يوم الحساب.

10- الظاهرة الدينية ليست ظاهرة موجودة إلى الأبد. بل قد توجد أو تختفى طبقا للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للناس. هى تعبير عن الاغتراب في العالم والوضع المأساوى للإنسان فيه. لذلك ارتبط الدين بمآسى البشر وأزماتهم الكبرى. فإذا ما تحقق المثال في الواقع ، وحقق الإنسان ذاتيته وأثبت هويته انتهت الظاهرة الدينية. إذا عاش الإنسان في عالم تسوده الرحمة والعزة والعدل والقسط والحق والعلم واللفظ والحلم والمجد فلن يعبد الإنسان هوية مشخصة يصفها بالرحيم والعزيز والعاقل والمقسط والعالم واللطيف والحليم والمجيد...الخ. فالإنسان يعبد ما يعجز عن تحقيقه ، ويؤله مثله العليا صعبة المنال. وينفى عنه صفات النقص والموت والجهل والعجز. الدين طاقة إنسانية للتحقق ، إمكانية تتحول إلى وجوب ، قوة تسير نحو الفعل ، افتراضات في حاجة إلى تصديق. الظاهرة الدينية إذن مرتبطة بحالة الجهل والعجز. فإذا ما أصبح الإنسان عالما فهم

قوانين الطبيعة ، وإذا ما أصبح قادرا سيطر عليها وسخرها لصالحه. لا يقوم اعتبار الدين ظاهرة إنسانية على أى "رد" أو "اقتضاب" كما هو الحال فى العلوم الوضعية (الرد أو الاقتضاب Réduction). بل هو بحث علمى فى أبعاد الظاهرة الدينية. فقد آن الأوان لتحويل الخطاب الدينى إلى خطاب علمي. له موضوعه ومنهجه، بعيدا عن الخطابييات والإنشائييات والوعظيات والإرشادييات والإيمانيات والمسلمات، وما تعود عليه الناس وما تعارف عليه الدعاة. والثقافة العربية الإسلامية تعيش فى ثنائييات مانوية أفلاطونية بعيدة عن روح الإسلام العملية التى تبحث فى علل الأشياء كالعلماء. لذلك كان مبحث العلة جوهر علم الأصول. وفرق بين مخاطبة النخبة ومخاطبة الجمهور.